المعركة التي بدأت بصوت أبواق عالٍ وانتهت بصوت واهن ضعيف أفضت الى ابتعاد اسرائيل عن ثقافة الحرب الغربية

الفشل العيني لاسرائيل جاء نتيجة عجرفة وكبرياء قيادة الجيش والسياسيين عديمي التجربة

■ لماذا مُنعت دولة اسرائيل من أن تُخضع في ساحة القتال منظمة ارهابية صغيرة نسبيا مثل حزب الله، تعمل في ارض اصغر دول المنطقة وأضعفها؟ كيف فشلنا، لا في احراز الأهداف المعلنة التي خرجنا من أجلها الى العملية فحسب، بل في شيء أخطر بأضعاف مضاعفة: في الدفاع عن دولة اسرائيل في وجه الهجوم الصاروخي الذي استمر أكثر من اربعة اسابيع؟.

هل الحديث عن فشل عيني، نشأ عن قيادة سياسية بلا تجربة؟ أو ربما يكون الأمر كامنا في عجرفة وكبرياء قيادة الجيش الاسرائيلي، التي سدت أذنيها عن النقد لاعتمادها المبالغ فيه على عجائب القوة الجوية؟ أو ربما تكون كل هذه الاشياء أعراضا فقط لمرض أخطر كثيرا، يُسمى: ثقافة الحرب التي أخذنا بها في السنين الغابرة منذ حرب لبنان الاولى في 1982.

في كتابه «ثقافة وفتك» يتناول المؤرخ العسكري الرائد في الولايات المتحدة، البروفيسور فيكتور هينسون، سؤال لماذا ينتصر الغرب دائما (تقريبا)؟ ما الذي جعل جيوش الغرب في السنين الـ2500 من التاريخ الموثق، من اليونان القديمة حتى ايامنا تهزم الجيوش غير الغربية في جميع الحروب تقريبا، ما عدا حالات قليلة فوجئت فيها مفاجأة كاملة أو دُفعت الى دونية كمية مفرطة؟.

إن الفحص الشامل لسلسلة معارك عسكرية مهمة ـ من معركة سلاميس التي هزم فيها الأثينيون الاسطول الفارسي، حتى معركة ميدوي في الحرب العالمية الثانية التي هزم فيها الامريكيون اليابانيين ـ يدحض الاعتقادات المقبولة بأن حل لغز تفوق الغرب العسكري كامن في شجاعة مقاتليه الزائدة، وامتيازه التقني ـ العسكري، أو تفوقه المالي ـ الاقتصادي.

يكمن سر التفوق العسكري للغرب، كما يزعم هينسون، في فعالية وفتك جيوشه التي لا نظير لها. فعالية وفتك، ينبعان من كون المجتمع الغربي «مجتمعاً مفتوحا»، يخلق نموذج «الجندي المواطن»، الذي قيمته في حومة القتال أعلى من كل جندي آخر، مهما كان شجاعا. فعالية وفتك بدايتهما في تراث السعي الى إخضاع سريع لقوات العدو تطور في اليونان القديمة.

في الوقت الذي نظر فيه الحكام الطغاة في الشرق القديم الى الحرب نظرا رياضيا، مثل لعبة قياس القوى، نشأ في ديمقراطيات اليونان القديمة تصور حربي مغاير، غير رياضي على نحو ظاهر، رأى النضال عن حرية الجماعة والمواطن حربا لا هوادة فيها للموت وللحياة. ليس الهدف الأساسي للحرب الدفاع عن الوطن فقط، بل منع الخصم قدر المستطاع من أن ينهض من اجل الجولة القادمة. اذا ما قسنا ذلك برياضة الملاكمة العصرية، نستطيع أن نقول إنه في حين تسعى القوى غير الغربية، على حسب هينسون، الى الحصول على امتياز بالنقاط، يسعى خصومها الغربيون الى حسم بالضربة القاضية.

هل يمكن التأليف بين هذا السعي والنظرية المشهورة لعمانوئيل كانط، وهي أن الدول الديمقراطية بمجرد نوعيتها تمتنع عن حروب لا داعي لها وتطمح الى السلام مع جاراتها؟ يُبين كانط أن الطموح الى السلام في الديمقراطيات ينبع من عدم استعداد المواطنين للمخاطرة بحياتهم وممتلكاتهم من اجل موضوعات هامشية. لا تناقض هذه النظرية زعم هينسون، لأنه كما أن للمواطنين الأحرار اهتماما كبيرا بالامتناع عن حرب لا داعي لها، يجب أن يكون الجانب الآخر من القطعة النقدية، أنه مع وجود الحرب يوجد لاولئك المواطنين الأحرار اهتمام كبير بالحسم الذي يمنع نهوض العدو أو يُعوقه، وبهذا يمنع أو يُبعد الحرب القادمة.

بن غوريون وشارون

لا ريب في أن ثقافة الحرب التي أورثنا إياها دافيد بن غوريون، والتي كان التعبير الأبرز عنها في السبعينيات والثمانينيات هو اريل شارون، كانت ثقافة غربية تسعى الى حصار العدو والقضاء عليه في المواجهة. وذلك ايضا في تلك الحالات التي يكون الأمر فيها مصحوبا بعمليات عسكرية جريئة ثمنها خسائر يصعب تحملها. الجيش الاسرائيلي لبن غوريون سعى الى استغلال كل تفوق لاخراج العدو عن اتزانه، في سعي الى حصاره بعد ذلك والى إبادته كقوة مقاتلة.

كان بن غوريون هو الذي قال إن «اسرائيل اذا انتصرت في خمسين حربا، فانها لن تُخضع العالم العربي، لكن حسب العرب أن ينتصروا في حرب واحدة من اجل القضاء على دولة اسرائيل». بيد أنه بسبب من عدم التماثل هذا على التخصيص أكد بن غوريون الحاجة الى الحصول على حسم مؤقت حاد أليم قدر الامكان، من اجل إبعاد موعد النهوض العسكري والنفسي للجانب الثاني.

حتى في حرب التحرير اشمأز بن غوريون من الاكتفاء بالتشويش على أهداف العدو وانجاز دفاعي جليل. برغم صد الجيش المصري في أسدود، ودفعه التدريجي بعد ذلك خارج حدود الدولة، أمر بن غوريون الجيش الاسرائيلي المرهق بأن يقطع مرة تلو اخرى طرق انسحاب الجيش الغازي وأن يواجه قواته المنسحبة، وفي ضمن ذلك قطع طرق انسحابه في سيناء.

في حربي 1956 و1967 ايضا لم تكتف اسرائيل بانجازات دفاعية، ولكن فيما يخص موضوعنا، الأمثلة الأكثر إثارة للاهتمام هما على التخصيص حرب 1973 و1982، حيث طُبق تقليد الحرب البن غوريونية على يدي اللواء، الذي أصبح بعد ذلك وزير الدفاع، اريل شارون. يشكل عبور قناة السويس في حرب يوم الغفران مثالا بارزا على ثقافة الحرب الغربية، عندما جر شارون وراءه القيادة العسكرية والسياسية من اجل احراز حسم غالب. اخترق الجيش الاسرائيلي بعملية جريئة صعبة لا مثيل لها خطوط العدو في وسطها، من اجل أن يفصل ويطوق الجيش الثاني والجيش الثالث، وليقضي عليهما بعد ذلك بالنار، والجوع، والظمأ.

حرب لبنان الاولى

الحرب المثيرة على نحو خاص هي حرب لبنان الاولى في 1982، لأن الجدل العام الذي لا نظير له في الماضي في اسرائيل على تعريف أهداف الحرب كان في واقع الأمر جدلا لاذعا في ثقافة الحرب. انقسم الجمهور والاعلام، وفي أعقابهما الكنيست والحكومة، بين أشياع الحرب التكتيكية (خطة «أورانيم الصغيرة») للدفاع عن الجليل في وجه قصف المدافع وصواريخ الكاتيوشا، وبين أشياع الحرب الاستراتيجية (خطة «أورانيم الكبيرة») من اجل إخضاع العدو، أي م.ت.ف، كقوة مقاتلة في لبنان. الدفاع عن الجليل في وجه هجمات المدفعية، كان كما هو اليوم، يقتضي دفع العدو وراء خط الثلاثين أو الاربعين الكيلومتر. وفي الحقيقة هذا هدف العملية التي أُعلن عنها في الحكومة وفي الكنيست. لكن وزير الدفاع كانت له خطط وأهداف اخرى. رأى شارون الحرب فرصة لحسم مضاعف: أولا، اخضاع م.ت.ف كقوة مقاتلة في لبنان. وثانيا، الدفاع عن حدودنا الشمالية لسنين لجعل لبنان يوقع على اتفاق سلام.

جر شارون الحكومة والجيش، في اجراء كان على حدود الشرعية الديمقراطية، الى حرب كان يفترض أن تنتهي الى ضربة قاضية ساحقة. مثل الأدميرال البريطاني هوريشو نلسون، الذي وضع النظارة على عينه العمياء ليتجاهل الأوامر، هكذا «تبلبل» شارون في فهم المقروء للقرار الحكومي. بدل أن يأمر الجيش الاسرائيلي في دفع م.ت.ف من جنوب لبنان شمالا، أمر بانزال قوات شمالي صيدا ليقطع خط تراجع م.ت.ف وليردها الى الجنوب مرة اخرى. وذلك ليُمكن مواجهتها وإبادتها كقوة مقاتلة، وبعد ذلك الزحف الى بيروت لاكمال الحسم بطرح قيادات م.ت.ف.

إن فحص التاريخ العسكري منذ نهاية حرب لبنان يدل على انفصال تدريجي من تراث الحرب الغربية. في زمن ما في الثمانينيات كففنا عن الحديث عن الطموح الى اخضاع العدو أو القضاء على قدرة قتاله بالضربة القاضية، وبدأنا نُنمي ثقافة تُقدس الاكتفاء بـ«النصر بالنقاط» أو «كي الوعي». وبكلمات اخرى: ثقافة الاكتفاء بأن يستوعب الجانب الثاني أن من الصعب عليه أن يُخضعنا. في زمان ما في الثمانينيات أصبح «النصر» كلمة معيبة، وتحولنا بدلا منها الى الحديث عن الحصول على «صورة نصر»، أو «تأثير انتصار في الوعي» مع افتراض أنه يمكن الحصول عليهما بثمن رخيص نسبيا من جهة الخسائر في الأرواح.

بالاضافة الى ذلك، بدأنا في زمان ما في التسعينيات نستبدل بمبدأ بن غوريون تصورا جديدا لحرب ساكنة وباب مخاطرات وخسائر قدر الامكان على الارض، مع اعتماد زائد على التفوق الجوي الذي سيفضي الى اخضاع العدو.

حرب لبنان الثانية

كيف يتصل كل اولئك بحرب لبنان الثانية؟ هذه المعركة التي بدأت بصوت أبواق عالٍ وانتهت بصوت واهن ضعيف، أفضت الى أكمل تعبير عن ابتعاد اسرائيل عن ثقافة الحرب الغربية. في هذه المعركة تصرفت اسرائيل كمن ترى المعركة مواجهة يقيسون الانجازات في نهايتها أو يعدون النقاط. أي، من الذي أصابته أكثر الخسائر والأضرار في المتاع والبنى التحتية، وأي جبهة داخلية حافظت على أعلى روح معنوية زمن تلقي الضربات. لم يُعبر عن هذه الامور فقط بادارة القيادة للمعركة، بل بمبادىء بناء قوة الجيش الاسرائيلي.

إن الطموح الى حرب حسم استراتيجي على هيئة «أورانيم الكبيرة»، التي اقتضت غزوا بريا واسعا، اختفى اختفاءا كاملا. استقر الرأي على حرب دفاعية تكتيكية في صيغة «أورانيم الصغيرة» بعد قرار وقف اطلاق النار فقط، على نحو منع كل احتمال لاكمالها.

في واقع الأمر، وجد رئيس الحكومة، ايهود اولمرت، نفسه يخالف اريل شارون في 1982 مخالفة تامة في الأدوار. لقد أضل شارون لحينه الشعب والحكومة، في قيادته الجيش أبعد من الأربعين كيلومتر التي أجازها له المجلس الوزاري المصغر. اولمرت، الذي رغب في الامتناع حتى عن عملية برية محدودة في لبنان، نجح في تضليل الشعب والدولة وكأنه يسعى الى انجاز حسم استراتيجي. المشكلة من جهته هي أنه قُبيل انتهاء الحرب اضطر، بضغط من الجيش والشعب، الى الخضوع لخطابة نفسه والى الحراك الذي نشأ في أعقاب ذلك، وأن يعلن عن عملية انهاء برية منتصرة تُسوغ التوقعات العالية التي خلقها وإبقاء الشمال في الملاجىء.

في هذه المرحلة أضل اولمرت الشعب وحكومته، بمحاولته انشاء وهم حسم قريب كأنما سلُبناه في اللحظة الأخيرة بسبب تدخل الامم المتحدة؛ وهو تدخل دبلوماسي كأنما منحنا الحسم المأمول بأدوات اخرى. من اجل الحصول على ذلك أتى اولمرت في البدء الى المجلس الوزاري المصغر بقرار عن تنفيذ ما يشبه «أورانيم الصغيرة» حتى الليطاني، لكنه بعد ذلك فورا أعاق تنفيذها، الى أن جعل التصويت في مجلس الأمن القرار غير قابل للتنفيذ. عندها، وعندها فقط، أُعطي الجيش الاسرائيلي أمرا حالما بالتحرك قُدما بسرعة ومن غير هدف تنفيذي. لأن الجدول الزمني أفشل إكمال مهمة احتلال المنطقة جنوبي الليطاني، فضلا عن إكمال تطهير المنطقة والقضاء على قوات حزب الله في الجنوب.

توجيهات بناء القوة

فشل حرب لبنان الثانية هو فشل ثقافة الحرب الجديدة. ورغم أن وزير الحكومة ووزير الدفاع ورئيس الاركان هم من أبرز الممثلين لتلك الثقافة الحربية، لا ينبغي أن نعلق بهم وحدهم التهمة كلها. تدل خطط الجيش الاسرائيلي للحرب والتأكيدات في بناء القوة، التي صيغت في الأساس في فترة رئيس الاركان ووزير الدفاع السابقين، على أن اولمرت وبيرتس وحلوتس ممثلون لمشكلة اجتماعية وثقافية أعمق.

السعي الى الحسم في حومة القتال يتطلب استعدادا للمخاطرة بمنزلة «الأجرأ ينتصر». ولكن حتى لو كانت الجرأة ذات جدوى في الأمد البعيد، فمن طبيعتها أن تقود احيانا ايضا الى اخفاقات شديدة. إن الطموح الى حسم بري مخاطرة في ذاته، لأنه لا توجد معركة برية ليس فيها مصابون. «نحن نعُد أمواتنا ونحن نفخر بذلك»، قال رئيس الحكومة في خطبة ايجاز الحرب في الكنيست. لكن اذا كان عدّ الضحايا يسبب التردد، وعدم الحزم، والغاء الطموح الى حسم استراتيجي، أفلا يمكن أن تكون خسارتنا تعادل ربحنا في النهاية، لا في أهدافنا الاستراتيجية فقط، بل في عدّ الضحايا ايضا؟.

تُقال الاشياء نفسها ايضا في إبراز بناء القوة في الجيش الاسرائيلي. في السنين الأخيرة تطور تصور الحسم من الجو، ونبع من ذلك الغاء الحاجة الى المداورة البرية أو الى تحسين قوة النار من البر ومن البحر. وفيما يتعلق بلبنان، طُور تصور القضاء على القذائف الصاروخية وصواريخ الكاتيوشا من الجو، ونشأ عن ذلك اعتقاد أنه يمكن ادارة مواجهة واسعة مع حزب الله من غير الحاجة الى عملية برية. وكان من نتيجة ذلك أن أُهملت قوات سلاح المشاة، والمدرعات والمدفعية. لأنه اذا كان يمكن حل كل مشكلة بتدخل جوي، فما الداعي الى الاستمرار في التقوي في البر والبحر؟.

تحد الأشياء التي زادت إهمال بناء القوة سوءا القناعة الذاتية عند كبار جهاز الأمن في شأن انقضاء زمن الحروب التقليدية. إن 23 سنة من غياب المواجهة بين الجيش الاسرائيلي والجيوش العربية مكّنت وزراء الدفاع، ورؤساء الاركان وخبراء آخرين، من تطوير صيغة عسكرية لنظرية «نهاية التاريخ». تم التعبير عن نهاية التاريخ العسكري باعتقاد أن التهديدات العسكرية لاسرائيل حلت محلها الى الأبد تهديدات سلاح غير تقليدي من جهة، وعمليات ارهابية عينية من جهة اخرى.

إن حقيقة أننا شهدنا من وقت غير بعيد تصادما تقليديا بين الولايات المتحدة والعراق، وهو تصادم اشتمل بجانب المعركة الجوية، على مداورة برية واسعة ايضا، لم تمس بالتصور. فهل يجب أن نعجب اذن من انسياقنا بعد تصريحات كهذه الى أن نقتطع هنا وهناك من برامج التقوي؟.

عنب يخرج من الشوك

الصفعة التي تلقيناها، كما صاغ ذلك زئيف شيف، تُنبهنا من غفوتنا الدوغمائية. حدثت لنا معجزة بأن كُشفت الاختلالات وألوان الضعف بازاء عدو صغير هامشي لا يستطيع تهديد جوهر وجودنا.

ومع ذلك، ومما يزيد القلق، أصوات الحرب العالية التي تُسمع الآن من قبل سورية، والتي يعززها وضع استعداد جيشها، تقتضي تطبيقا فوريا لعدد من الدروس، التي لا يمكن أن تنتظر مباحثات أساسية ولجان تحقيق. أقصد الى الدروس في شأن تعزيز قواتنا البرية في الجولان، وفي شأن تحسين قدرة اقامة عملية تجنيد وانتظام تحت تلقي الضربات، وفي شأن تجديد واستكمال الاحتياطيات، وفي شأن التدريبات العاجلة لألوية الاحتياط.

وفي شأن الاسئلة الأساسية في سلم الأولويات في بناء القوة، مثل التزود بوسائل للدفاع عن المدرعات في وجه الصواريخ المضادة للدبابات، وإكمال تطوير وسائل تعويق الصواريخ، أو تطوير قدرات نارية دقيقة وسريعة من البر والبحر، سنضطر الى بحث ذلك بعد ذلك. لقد بدأنا الآن نعالج ثقافة حربنا وثقافة كبتنا، وهما لب القضية.

من طبيعة المجتمعات المدنية والديمقراطية، كما يُبين البروفيسور هينسون، أن تستخلص الدروس بسرعة وأن تخرج قوية من فشلها حتى في اثناء الحرب. الجيش الاسرائيلي اليوم أصبح جيشا أقل عجرفة وأقوى مما كان قبل الحرب. اذا استخلصنا الدروس الصحيحة بشجاعة وحكمة، فسنستطيع أن نقول برضى أن العنب يخرج من الشوك.

يوفال شتاينيتس
عضو كنيست من الليكود
(هآرتس) 2006/8/17

من الأجدر به أن يتنبه لما يفعله الجنرالات في المناطق خلال انشغاله على الجبهة في لبنان

عمير بيرتس يحاول الخروج من الضربة القاضية التي تلقاها في الحرب من خلال إحياء العملية السياسية مع سورية

■ في ذروة الحرب في الشمال، عاد وزير الخارجية الاسباني، ميغيل موراتينوس، من زيارة في دمشق وسارع لاعلام وسائل الاعلام الاسبانية بأن الرئيس الأسد عازم على التوصل الى السلام مع اسرائيل. الى جانب ذلك قال صاحبنا موراتينوس إنه نقل الى الأسد رسالة من عمير بيرتس بأن لسورية شريكا في المفاوضات.

سفارة اسرائيل في مدريد أعلمت وزارة الخارجية في تل ابيب بذلك، فعبرت الوزيرة لفني عن علامات استفهام ـ نداء لديوان وزير الدفاع. بيرتس قال إنه لا حاجة للتأثر من مثل هذا القول، فكل ما في المسألة أن موراتينوس اتصل معه عشية سفره الى دمشق وتحدث معه كاشتراكي لاشتراكي وسأله اذا كان يريد إرسال تحية لجاره. على حد قول وزير الدفاع هو قال لموراتينوس شيئا ما عاما جدا حول تطلعه المعروف للسلام، وأنه لم يقل له أمرا محددا.

المقربون من بيرتس أكدوا أمس بأسف غير خفي، أن وزير الدفاع قال الحقيقة للفني. كل الحقيقة تقريبا. هو على قناعة فعلا بأن من الضروري ومن الممكن ايضا التوصل الى السلام مع الأسد، وأنه من دون تسوية مع سورية لن يكون هناك سلام في لبنان. عدم حسم الحرب في الشمال، والشكوك حول قدرة قوات الطوارىء الدولية ورغبة الجيش اللبناني في مواجهة جيوب حزب الله الكبيرة التي بقيت في الجنوب، تُحول سورية الى طرف مركزي في كل ما يتعلق بتطبيق القرار 1701.

الخبير في القانون الدولي، الدكتور روبي سيفل، الذي كان مستشارا قانونيا لوزارة الخارجية يقول إنه بسبب التنازل عن البند السابع من ميثاق الامم المتحدة، ليس واضحا اذا كان بند الحصار الوارد في القرار ملزما للدول الاجنبية بأن تمتنع عن إمداد حزب الله بالسلاح. حسب تفسيره، يملك الجيش وقوات اليونيفيل صلاحية، ولكن ليست إلزامية بمنع ارساليات السلاح الى لبنان من دون مصادقة حكومة السنيورة. عزل حزب الله عن مصادره الصاروخية في ايران يعتمد اذا وبالأساس على حسن نوايا الأسد.

مع كل الأهمية التي يوليها بيرتس لهذه المسألة، إلا أنه غير مستعد للتخاصم بسببها مع رئيسه اهود اولمرت. رئيس الوزراء لم يبُد حتى الآن اهتماما في الشروع بالمفاوضات مع سورية. ليس واضحا اذا كان ذلك نابعا من عدم رغبته في دفع ثمن هذه المفاوضات، أي الانسحاب من الجولان، أو لأنه غير مستعد للتخاصم مع رئيسه جورج بوش. وربما يعود ذلك لكلا السببين معا.

طالما بقيت سورية عضوا في محور الشر، فان الاسرائيلي الذي يقترب منها سيُعتبر شريرا في نظر الادارة الامريكية. بيرتس أدرك أن الطريق الى الأسد يمر عبر مسامع بوش، ولكنه لم يفعل حتى الآن أي شيء حقيقي حتى يقنعه بأهمية ذلك. رقم الهاتف الوحيد في دفتر وزير الدفاع الذي يحمل مقدمة واشنطن هو رقم رئيس اتحاد العمال الامريكيين (الموازي للهستدروت)، ولكن مع مثل هذا الرقم لن يصل بعيدا.

ولكن ثلة مستشاري بيرتس حافلة بأشخاص ذوي علاقات متشعبة في العاصمة الامريكية، وعلى رأسهم دافيد كمحي، مدير عام وزارة الخارجية السابق، وصديق دونالد رامسفيلد، بالاضافة الى دافيد عبري، مدير عام وزارة الدفاع سابقا، وسفير اسرائيل في واشنطن. ولكن من قبل أن يقوم بارسال المبعوثين الى ما وراء البحار يتوجب عليه أن يقرر نهائيا ما الذي يريد أن يكونه عندما يكبر: ناشط سياسي أم رجل دولة؟

وفقا للانذارات

وزير الدفاع توجه أمس الاول الى مراسيم بلوغ أيتام الجيش الاسرائيلي، وصرح هناك بأن كل حرب تتمخض عن فرصة سانحة لعملية سياسية جديدة، ولذلك يتوجب وفقا لرأيه استئناف التفاوض مع الفلسطينيين. في ظل وضعه في الاستطلاعات غداة الحرب في الشمال، يعتبر التفاوض، خصوصا مع الفلسطينيين، فرصة عمير بيرتس لاعادة بناء مكانته السياسية والجماهيرية. اذا فوت هذه الفرصة فان رفاقه في الحزب سيقفون في الطابور لتحويله الى كبش فداء الفشل في الجبهة الداخلية وعلى جبهة القتال. وحتى من دون ذلك، يتربص به الجنرالات الخمسة في السياسة (متان فلنائي، داني ياتون، عامي أيلون، فؤاد بن اليعيزر وافرايم سنيه) ويكمنون له في الزاوية. هم لا يغفرون له، وهو الشكاك الاستحواذي، أنه فضل ضم جنرالات احتياط عديمي الدافعية والمطامح السياسية الى طاولته الحربية (أمنون ليبكين شاحك، عاموس مالكا، داني روتشيلد ودافيد عبري). ولكن أي قيمة توجد للحديث المرتفع جدا حول «عملية سياسية جديدة» بينما يقوم الجنرالات على الارض باجراء التفاوض مع الفلسطينيين من خلال لغة القوة؟ هذه اللغة التي يُبرز فيها قائد المنطقة الجنوبية، يوآف غلينت، سيطرته التامة بصورة استثنائية. منطقة نفوذ غلينت تشمل قطاع غزة، تلك المنطقة التي سيتضح فيها، ربما في الايام القريبة، اذا كان بيرتس قائدا سياسيا أم مجرد ناطق بلسان الجيش مع بدلة رسمية. حتى الآن، وربما بسبب الحرب في الشمال، لم تصل بعد شائعة حلول بيرتس محل شاؤول موفاز الى قيادة المنطقة الجنوبية. هناك فلسطينيون في القطاع يدعون أن الجيش الاسرائيلي لم يتجرأ على تنفيذ نفس العنف والجبروت الذي يقوم به غلينت ضدهم في عهد موفاز الليكودي، بينما يفرط في ذلك الآن في عهد خليفته «رجل السلام».

في اطار سياسة «التفاوض» التي يعلن عنها الرئيس الأكبر لغلينت، ها هو قائد المنطقة الجنوبية هذا يأمر بمنع دخول الصحافيين والبريد الى القطاع. هو يرفض السماح لشركة ˝نيشر˝ للاسمنت بفتح قناة تصدير الاسمنت التي أقامتها بالتعاون مع شركة فلسطينية، باستثمار يبلغ ملايين الدولارات، حتى تلتف على الاغلاقات المتواصلة في معبر كارني. الاسمنت ضروري لاعادة بناء الجسور والمباني التي دمرها الجيش الاسرائيلي في عملية «أمطار الصيف»، والتي كان جزء منها قد بُني بتمويل امريكي واوروبي.

المنسق السياسي – الأمني عاموس جلعاد، قال في نقاش جرى مؤخرا في هيئة الاركان أن الادارة الامريكية تضغط لفتح القناة. منسق العمليات في المناطق، يوسف مشلاف، قال بأن آلاف العمال الفلسطينيين عاطلون عن العمل ومصدر الرزق. وأخيرا قررت هذه الهيئة فتح القناة. غلينت استأنف ضد القرار أمام رئيس هيئة الاركان، إلا أن دان حلوتس رفض استئنافه. ومع ذلك، بقيت القناة مغلقة اغلبية الوقت بسبب «انذارات بوجود عمليات». منذ حادثة 25 حزيران (يونيو) التي اختطف فيها جلعاد شليط، أُغلق التصدير من قطاع غزة كليا، أما إدخال البضائع الى هناك فيتم بصورة محدودة من اجل الاحتياجات الأساسية فقط. معبر رفح فُتح فقط لايام قلائل، وليست هناك امكانية للخروج الى مصر والاردن للعلاج الطبي العاجل، وليست هناك رواتب. هذا الوضع ألحق الضرر بقطاعات اسرائيلية كثيرة ذات علاقة بالسوق الغزاوية. وزير الدفاع يتأكد من خلال خبرته أن لقب ˝وزير الدفاع˝ ذو صدى أفضل بكثير من خارج الديوان الجميل، إلا أنه يبدو مهمة صعبة من الداخل. رويدا رويدا يتضح له أنه اذا لم يسارع الى تعلم السباحة بين التيارات في القيادة العسكرية، فانه سرعان ما سيشتاق الى مبنى الهستدروت.

أحد مستشاريه حدثه عن شلومو هيلين، الذي عُين في السبعينيات وزيرا للشرطة، وسرعان ما اكتشف أن المرة الاولى التي يطلب فيها المفتش العام للشرطة الالتقاء معه بصورة عاجلة، كانت بعد أن احتجز لعدة ايام على طاولته استمارات ترقية كبار الضباط. بعد أن رفض التوقيع على بعض هذه الاستمارات، بدأت قيادة الشرطة تتعامل معه بجدية.

مستشار بيرتس نصحه بأن يُجرب طريقة هيلين في الجيش.

الرئيس السوري بشار الاسد

عكيفا الدار
المراسل السياسي للصحيفة
(هآرتس) 2006/8/17

أُسست تل أبيب عام 1909.. وفي 2009 ستصبح أنقاضا

العد التنازلي ابتدأ.. الخراب يقترب واليسار غبي.. وقريبا بوش ينهي ولايته.. اذا لم تتنبه اسرائيل والغرب فسينتصر أحمدي نجاد

■ في سنة 1909 أُسست تل ابيب. وفي 2009 ستصبح أنقاضا. التاريخ مجموعة من التواريخ. إن ما يبقى حقا بعد جميع التحليلات والنقاشات الحقائق الزمنية الحديدية فقط. قبل مائة سنة أقاموا أول المدن العبرية، وبعد مائة سنة من العزلة، قُضي أمرها.

بين أنقاض دمار التصورات التي خربتها صواريخ الكاتيوشا، بقي واحد كاملا. ايران، كما يقول الجميع ليست مشكلتنا. هي مشكلة العالم.

لكن العالم الذي نعرفه سيمضي الى بيته بعد أقل من سنتين. جورج بوش، وهو الأكثر نزاهة بين قادة القرن الواحد والعشرين، يُنهي ولايته الأخيرة. الامريكيون، الذين لا يحبونه ولا يحبون الحرب في العراق، لن يفعلوا شيئا. لن يحجز شيء يد أحمدي نجاد عن الزر الذي سيُخرب تل ابيب. هذا جدول عمل الفارسي. بعد سنتين أو ثلاث سيملك سلاحا ذريا. لا يوجد من يكفه عن خطة عودة النبي محمد الذي سقط علينا داخل النار.

ستخرب تل ابيب. حتى اذا ما قرر البعض من داخل ملاجئنا المحصنة السرية، تحت الغبار المشع، تنفيذ عملية شمشون، وإمطار طهران بجميع صواريخ فعنونو. لن ينشئ هذا الدولة العبرية من جديد، سيموت الكثير من المسلمين ولن نكون نحن.

هذا هو المصير. لقد كُتب على شواهد قبور الجنود الذين احتلوا بنت جبيل خمس مرات، وفي أوامر أعظم الجيوش في الشرق الاوسط، الذي لم ينجح آلاف من طياريه و50 ألفا من مقاتليه في إخضاع بضع مئات من مقاتلي حزب الله. جميع لجان التحقيق التي ستقوم لن تُغير الصورة. لن يقرر مستقبلنا تعلم الأخطاء التي قمنا بها، بل الدرس الذي سيستخلصه العدو.

هاكم تاريخا آخر 1936. الحرب الأهلية في اسبانيا. الجمهوريون في وجه فاشيي فرانكو. لم يتدخل العالم، لكن أناس يسار كثيرين، أدباء وفنانين، جاؤوا ليحاربوا الشر. خسروا. استعمل هتلر، الذي أيد فرانكو اسبانيا كملعب تدريب. لقد اختبر رد العالم المستخذي. لقد جرب سلاحه الجديد، وتكتيكات قتال المدرعات التي طورها الجيش الالماني. بعد أن تعلم الدرس، خرج لاحتلال العالم.

لبنان هو اسبانيا الفاشيين المسلمين. يعرفون ما الذي يفعلونه. يعرفون الآن كيف يهزموننا. لكن بعد سبعين سنة، لا يعارضهم أفراد اليسار الذين يُسمون أنفسهم بهذا الاسم. لقد غيروا اتجاههم. في امريكا، وفي اوروبا، وفي اسرائيل ايضا، استُبدل بنظرية احترام الانسان عندهم استعمارية فكرية، أشد وطأ من جميع فروع ماكدونالدز وستاربيكس. انهم يُلحون في أن ينسبوا الى الانسان الذي يواجههم نفس نظام القيم الذي يجب على جميعهم الايمان به في رأيهم. زهافا غلئون، على سبيل المثال، صخابة اليسار الحالية، على قناعة من أننا اذا تحدثنا حديثا كافيا الى الدب، فانه سيجيبنا بلغتنا. لكن اليسار، في الحقيقة، يقتضي تقبل عالم الآخر الروحاني، حتى عندما يخالفك التفكير. اذا كان الانسان الذي يواجهك يعتقد أن الله يأمره بالانتحار وأن يقتلك في اثناء ذلك، فمن أنت لتلغي فلسفته؟

في اليمين ينتظرون هنا انقاذا يأتي من العالم الغربي، وفي اليسار يعتقدون أن العالم الروحي للدجاجة يماثل عالمهم. جميعهم يريدون العيش، كما يعتقدون هناك، حتى نصر الله وأحمدي نجاد وجميع أسياد الشهداء. وفي هذه الاثناء، يبنون لنا في طهران المقصلة.

هذه هي الخطة. ومثل هتلر، يقولونها سلفا وبالتفصيل. نضرب اسرائيل قبل، وبعد ذلك يدوس جماهير المسلمين، من المحيط الهندي حتى الاطلسي، نُظم قمعهم، وينضوون تحت لواء امبراطورية العمامة.

أصبح الأمر خاسرا تقريبا. واذا كنا مع ذلك نريد أن نهزم القضاء، فيجب أن نفعل ذلك الآن. يجب علينا فعل ذلك. لا يوجد أحد آخر. وإلا سينقضي الأمر. كانت لنا مئة سنة. هذا ايضا شيء ما.

يونتان شيم ـ أور
كاتب في الصحيفة
(معاريف) 2006/8/17

انتصار نصرالله اعطى اسرائيل فرصة للاستعداد للمواجهة القادمة

على دان حلوتس أن يستقيل حتى يجر بيرتس واولمرت من ورائه

■ لايهود اولمرت: المؤشرات المقلقة أطلت برأسها منذ المجابهة الاولى التي خضتها في عمونة. المقربون منك سمعوا انتقاداتك لأداء الشرطة خلال هدم المنازل الدائمة هناك. ومن ثم تواصل الأمر من خلال ملاحظاتك اللاذعة للاستخبارات بعد أن فازت حماس في الانتخابات الفلسطينية. والآن، بعد فضيحة لبنان أصبح حجم الادعاءات والانتقادات بحجم المصيبة. وإن كان من الصحيح القول إنك قد «تحملت المسؤولية» في خطابك أمام الكنيست، إلا أن ذلك كان مجرد لغة كلامية. أنت تعتقد أن أسلافك وتابعيك هم الذين أوقعوك في الفشل. اولئك من خلال التحضيرات الرديئة للحرب، وهؤلاء من خلال طريقة التنفيذ.

المشكلة الحقيقية تكمن في تصورك ورؤيتك الادارية. رئيس الوزراء ليس قاضيا يفترض فيه أن يقبل أو يرفض ما يعرضونه عليه. وظيفته ليست «اتخاذ القرارات» فقط. عليه ايضا أن يبادر وأن يحث، وبالأساس أن يتحقق من أداء الاجهزة التابعة له لوظيفتها. لا يكفي التذمر فيما بعد. حتى وإن كان اريل شارون متهما بالاهمال، ودان حلوتس بالوعود الوهمية. كان عليك أن تتحقق من كل ذلك من قبل أن تخرج بالجيش والدولة في معركة عمرها 30 يوما. أنت تنظر الى منصبك وكأنك رئيس مجلس ادارة دولة اسرائيل. كل مدير يعرف أن عدم المعرفة والتوقيع الأعمى على التقارير لا يعفيه من المسؤولية.

لحسن نصر الله: لقد نجحت في إهانة الجيش الاسرائيلي، ولكن ما الذي حققته؟ أعطيت اسرائيل فرصة للاستعداد للمواجهة القادمة، وألحقت ضررا فادحا باخوانك الفلسطينيين، وأطلت عمر المستوطنات التي كانت مُعدة للاخلاء، وأقنعت العالم بأن المشكلة الفلسطينية والاحتلال في المناطق ليسا مصدر المشاكل في المنطقة، وانما الاسلام المتطرف. هذا اذا لم نتحدث عن اقتراحك المهين لعرب حيفا بالرحيل عن بيوتهم إبان قتلك لجيرانهم اليهود. فهل أنت موظف في قسم الدعاية والاعلام الاسرائيلي؟.

لدان حلوتس: منذ أن أُلقيت للمياه مع انتهاء تحليقك الفردي، لم تحصل على «خازوق» مثل الذي حصلت عليه في هذا الاسبوع. كشف النقاب عن بيعك لأسهمك في يوم اندلاع الحرب أنهى مسيرتك المهنية. تفسيراتك لن توشك إلا أن تلحق المزيد من الضرر. وحتى من دون الأسهم فمسؤوليتك عن الاخلالات في الجيش مطلقة، والمسؤولون عنك سيدحرجون المسؤولية عن فشل الحرب الى أعتابك بكل سرور. غادر منصبك من تلقاء نفسك، ومن هناك استقل الحافلة وتوجه الى كريات شمونة للتطوع في إعمارها. باعتبارك مقاول بناء في السابق، فأنت تملك ما يكفي من المعرفة والخبرة في هذا المضمار. لا تطلب وظيفة حكومية وسيارة وسائقا. عليك أن تتوجه الى العمل فورا. بذلك ستنقذ ما تبقى من كرامتك، والمعيار الذي ستفرضه اذا فعلت ذلك سيجر بيرتس واولمرت من بعدك للقيام بنفس الشيء.

لطال زلبرشتاين: من اقترح على اولمرت في منتصف الحرب حملة «انتصرنا» (صحيح أنه لم يستخدم هذه الكلمة وانما قال فقط «انجازات غير مسبوقة») كبديل لمواجهة المشاكل في الجبهة وفي العمق الداخلي، تسبب فقط بأن يكون سقوطه من أعالي الانتصارات الى أعماق الفشل أكثر دويا. وكذلك الحملة السابقة حول «القائد الجريء وبارد الأع